

الحاج عمر العنق، هذا المصلح المغمور

عناصر البحث:

1. مدخل إلى الموضوع
2. شخصيته وأخلاقه
3. مسيرته التعليمية
4. علاقته الحميمة بسليمان الباروني باشا
5. علاقته وصداقته بأبي اليقظان
6. علاقته بالشيخ محمد علي دبوز
7. لمَ لم ينجح في الميدان التجاري؟
8. سخاؤه الخاطي، هل جنى عليه؟
9. محطات في حياة العنق
10. فهرس رسائله إلى أبي اليقظان
11. الحاج عمر العنق، هذا المصلح المغمور؟

لم أكن أعرف قيمة هذا الرجل العظيم من قبل إلا من خلال ما كنت أسمعه من دروس الشيخ بيوض عندما يتعرض للحركة الإصلاحية بعامة ومعهد الشيخ الحاج عمر بن يحيى بخاصة، أو من خلال بعض لقاءاتي بالشيخ أبي اليقظان ذلك لأني أدركت الشيخ عمر العنق وأنا صغير السن من خلال صحبتي وزمالتني لابنه أحمد الذي كان صديقا عزيزا لي ورفيقا منافسا شديدا لي في سنواتي الأولى من مدرسة الحياة، فقد كان أحمد من لداتي وفي مثل عمري بل كان الشبه بيني وبينه شديدا حتى أن كثيرا من الناس كانوا يخطئون في التفرقة بيننا لخلقنا المتشابهة، ولعل هذا هو الذي ربط بيدنا بالصدقة الحميمة، وقد كان منزلهم أمام مدخل مدرسة الحياة القديمة من جهة الجنوب، فكانت أدخل بيتهم ولاسيما وقت الراحة، وكان بيتا بسيطا جدا، ومن ثم بقيت صورة والده الشيخ الحاج عمر العنق عالقة بذاكرتي الطفلية: رجل مهيب الطلعة ذو لحية كثة سوداء وبشرة بيضاء، عليه سيم الوقار والمرؤة، ربعة القد هو إلى القصر أميل، وما كنت أعلم حينها أن وراء هذا المنظر المهيب، تاريخ من الإصلاح عظيم وجهاد وطني فحيم يتجاوز وادي ميزاب إلى كل العالم العربي والإسلامي، ولاسيما فيما يتعلق بالجهاد الوطني ضد الاستعمار الغربي فيما بين الحربين العالميتين.

وبعد توالي السنين وتدرج في التعليم أدركت قيمة الرجل الجهادية من خلال قراءتي عن حياة المجاهد الليبي سليمان الباروني باشا ذي المكانة المرموقة في الحركة الإصلاحية الجزائرية الإباضية، فقد وفقني الله من خلال بحوثي الاطلاع على كثير من رسائله التي كان يرسل بها أمثال الشيخ الحاج عمر العنق، والشيخ أبي اليقظان، وأولئك الذين كان يسميهم إخوان الصفا من أمثال الشيخ بيوض، والشيخ إبراهيم أمتياز، وغيرهم، وأقول عن قناعة إنه لا يمكن فهم حياة المجاهد سليمان الباروني باشا حق الفهم دون الرجوع إلى هذا الكم الهائل من رسائل الباروني إلى الحج عمر العنق، أو رسائله إلى الشيخ أبي اليقظان هذه الرسائل يمكن اعتبارها تسجيلا دقيقا لتطورات حياة الباروني، تلکم الحياة المليئة بالمشاق والمتاعب التي لم يعرق فيها طعم الاستقرار والأمن قط ولا سيما فيما بين (1919-

والواقع قد أغنانا الشيخ أبو اليقظان عن الحديث عن هذه المرحلة من حياة الباروني في كتابه الذي يقع في جزأين: "سليمان الباروني باشا في أطوار حياته"⁽¹⁾

ومن خلال اطلاعي على هذه الرسائل التي تقارب 500 رسالة لاحظت أن الشيخ أبا اليقظان اعتمدها اعتمادا يكاد يكون كلياً لمادة كتابه ذاك.

لكن ما علاقة كل هذا بموضوعنا الذي هو الحاج عمر العنق؟

إن المطلع على هذه الرسائل يدرك يقيناً مكانة الحاج عمر العنق الاصلاحية وشخصيته الوطنية المرموقة، فمن خلال علاقة الباروني به أو بالأحرى علاقته بالباروني يدرك المكانة التي كان يحظى بها عنده ولا سيما في سنين غربته متنقلاً ما بين تونس وأوروبا والحجاز، وعمان وبالتحديد زمانياً ما بين (1924-1940) أي السنوات التي قضاها الباروني مطارداً ملاحقاً من الاستعمار الغربي، لاجئاً أو شبه لاجئ في عمان والعراق، وندرك من خلال رسائل الباروني الأيادي البيضاء التي كان يُسديها العنق للباروني وهو في محنة الغربة والمرض.

ولكنني أود قبل الوصول إلى هذه المرحلة في هذه العلاقة العودة بالقارئ الكريم إلى حيث انتهت حياة هذا المصلح المغمور لندرك مدى ما لحقه من جحود ونكران من الناس عندما كتب عليه الإفلاس المادي ولا سيما في الأربعينيات حينما استقر بمسقط رأسه القرارة، لنعلم أن أحكام الناس ولا سيما في الجانب المادي كثيراً ما كانت جائزة ظالمة ناكرة، ناسين أو متناسين الجانب الجهادي الاصلاحى الذي كان سبباً حقيقياً لذلك الإفلاس المادي.

ولم أجد من أشار إلى هذا ووقف عنده مؤاخذاً معاتباً هذه النظرة الخاطئة أفضل وأدق وأصدق من تحليل الشيخ بيوض لها في كلمة مؤثرة عند جنازة المرحوم الحاج عمر العنق يوم 18 جانفي 1956 وهذا حيث يقول: "... لقد ابتلينا نحن بنسيان الرجال وبتجاهل قيمتهم، وفقدنا من بين هؤلاء المغمورين، فقد تناسى أهل القرارة فضله، فبعد أن كان عندهم الفاضل الوطني الغيور السيد الحاج

(1) صدرا الكتابان عن المطبعة العربية، الجزائر في سنة 1956.

عمر العنق، أصبحوا ييخلون عليه حتى باسمه الخاص "الحاج عمر العنق" فعادوا يعتونه باسم "العنق" فقط، وهكذا أصبح شأنه بين الناس كما قيل في شأن الدنيا "إذا أقبلت عليك أعارتك محاسن غيرك، وإذا أدبرت سلبتك محاسن نفسك..."⁽¹⁾

شخصيته وأخلاقه:

لم أعر في المصادر من كتب عن حياته بالتفصيل، ولم أجد من حرر سنة ميلاده بالضبط، ولكن الشيخ محمد علي دبوز يذكر أنه توفي وفي عمره خمسة وسبعون عاما وكان هذا في 18 جانفي من سنة 1956، ومن هنا يكون ميلاده حوالي (1881) وكان الشيخ أبو اليقظان المولود سنة 1888 يذكر أن الحاج عمر العنق كان يكبره بسنوات حين التقيا في معهد الشيخ أطفيش ببني يزقن

والذي يعنينا هنا هو حياة هذا الرجل العظيم وما اتصف به من خلال كريمة ومرؤة مرموقة يشهد بها كل الذين عرفوه وقد تعمد الشيخ بيوض ذكر المناقب في جنازته، وتعمد الإطالة في ذكرها لجهل الناس له، ولأن هذا الجيل من الشباب لا يعلم شيئا عنه، رغم أنه يعد من الرعيل الأول في الإصلاح والكفاح.⁽²⁾

والحق أن كل من عرف الشيخ الحاج عمر العنق يشهد له بالأخلاق الرفيعة والأدب الجم، وحب الخير، والكرم الأريحي، إذ طبع على ذلك من صغيره وطول حياته فأصبح سمة من سماته التي يتميز بها في الوسط الاصلاحى، بل عند الناس قاطبة، وقد أبان ذلك الشيخ بيوض حيث يقول عنه: "...كان محله بتقرت زاوية للصادر والوارد بالضيافة وقضاء الحوائج، وكان ينفق إنفاق من لا يخشى فقرا، وكان محله بالقرارة كمحل أخيه الأسد السيد بكير مقرا لأولي الحل والعقد للرأي والتفكير في وضع الخطط والبرامج لإدارة حركة الكفاح، وكان أحسن الناس حظا من يجد عندهما وقتا لاقتناء أخبار الحركة القائمة إذ ذاك، وكان الزائر له كما يقال في شأن الطيور "تغدو خماسا وتروح بطانا" يدخلون محله

(1) من كلمة الشيخ بيوض في جنازة المرحوم الحاج عمر العنق، تلخيص الشيخ أبي اليقظان والوثيقة بحوزتنا. (م.ن)

(2) المصدر السابق

خماصا من كل شيء، فيغدون بطانا بكل شيء، بألوان الأطعمة والأشربة والأخبار المسرة والآراء الناضجة..⁽¹⁾

ويضيف الشيخ بيوض متحدثا عن مروءة الحاج عمر العنق وحبه للخير وريادته الوطنية قائلا: ..وكنّا إذا ذاك ونحن صغار نتشرف بالانتماء إليهم، والاستفادة منهم وأخذ دروس الكفاح عنهم، وكان للفقيده فرس فاره* -حيث لا سيارة إذ ذاك جعله في ذمة الأسفار السريعة لميزاب وتقرت وغيرها للقضايا العامة والخاصة

..وكان الفقيد كريما إلى أقصى حدود الكرم، وكان إلى زمنه الأخير -وقد أدبرت عنه الأيام- لا يهنأ له عيش إذا سمع بضيف في البلد إلا إذا أخذ حظه من إكرامه..⁽²⁾

فمفتاح شخصية الحاج عمر العنق كما يقول علماء النفس

هو حب الخير للناس جميعا، تجلّى ذلك لدينا في سلوكه العام والخاص، لم يد المساعدة بالخير المادي والمعنوي إلى كل من يطلب منه ذلك، وهو دليل على صفاء طويته، ونقاء سريرته، وقلبه الواسع الذي لم يتغير قط حتى في أيام محنته المالية، وهذه شهادة من عاشره عن كذب:

.. كان مثالا أعلى في الوطنية، شديد الاهتمام بأمور المسلمين عامة حتى في أيام محنته، كثير الاهتمام بالإسلام والمسلمين، ورغما عن توالي محنته فإنه لم يخن يوما من الأيام دينه وأمته، وبلاده.

ولئن يؤخذ عليه شيء فإنما هو سلامة قلبه، وحسن نيته وحب الخير لجميع الناس الأصدقاء والخصوم على السواء.

(1) المصدر السابق.

* نلاحظ أنه في بداية العشرينيات كان يمتلك سيارة لقضاء حوائج الناس حيث كانت تجارته بمدينة تقرت، وهذا يفسر حبه للصالح العام كيف فكر في إفادة الناس بهذا التطور المبكر، وقد كان من يملك سيارة أفراد قليلون

(2) المصدر السابق

وكثيرا ما يحاول بحسن نيته هذه -الجمع بين هذا وذاك ونظرهما بعين وحدة تغليباً لحسن الظن وحب الخير للناس جميعاً، ومن أجل هذا كان محل انتقاد إخوانه أحياناً حيث يبدو وكأنه لا يفرق بين الصالح والطالح.⁽¹⁾

فلندع الناس وما يقولون، وما يحكمون فإن إرضاء الناس غاية لا تدرك وويل لمن أشارت إليه الأصابع ولو بالخير

ولنحاول بما لدينا من رسائل ووثائق ومعلومات أن ننصف الرجل، ونعرف به تعريفاً حقيقياً لمن لا يعرفه من أجيالنا اليوم.

مسيرته التعليمية:

بدأ مسيرته التعليمية في مدينة قسنطينة حيث بدأ حفظ القرآن وأتمه في محاضرة القارة عند الشيخ علي بن حمو حيث استظهر القرآن وعرضه على الإمام فأصبح بذلك عضواً في حلقة "إروان" وما لبث أن التحق بمعهد الشيخ الحاج عمر بن يحيى ويرو، وكان من ألمع تلامذة الشيخ الحاج عمر بن يحيى ومن قدماء تلامذته النجباء وقد كان الشيخ الحاج عمر يكلفه بإلقاء دروس للطلبة المبتدئين وكان الشيخ يختار لهذه المهمة المرموقين النجباء المعروفين بالحزم والنشاط والانضباط وسرعان ما وجهه شيخه إلى الالتحاق بمعهد القطب أطفيش ببني يزقن هو وثلة من رفاقه* وذلك حوالي سنة 1315هـ، ولأن الحاج عمر العنق كان يتميز بخطه الجميل، وفهمه الثاقب، وذكائه المفرط، وفطنة وقادة⁽²⁾ فإنه كان ممن اختارهم الشيخ الحاج عمر ويرو ليرافقوه إلى رحلته إلى الحج سنة 1910م حيث جاوره سنة ونيفاً، وقد أفادته هذه الرحلة ليزداد علماً وتفتحاً على العالم العربي والإسلامي من حوله، وعلى الرغم من أنه أصبح من نجباء معهد القطب أطفيش، فإن الحياة المادية والظروف الاقتصادية العالمية الصعبة سرعان ما أجبرته على التخلي من هذا الجو العلمي والمعرفي إلى استجابة دعوة أخيه الحاج بكير

(1) المصدر السابق

(2) ملحق سير الشماخي لأبي اليقظان ج2. ص: 313 (مخ)

*كان من رفاقه الشيخ أبو اليقظان، حميد أوجانه الحاج أحمد الإمام، يوسف بن بكير العطاوي.

ليلتحق بتجارتهما بتبسة وكان هذا حوالي 1913م فاستجاب لنداء أخيه كارها وقلبه ما يزال متعلقا بالميدان العلمي الذي كان يشعر بأنه ظامئ إليه، مجبول بفطرته إليه.

وهو في تبسة سرعان ما انخرط في حياتها الاجتماعية والوطنية في إطار "الجمعية الصديقة" لإحياء اللغة العربية، فصار من أبرز أعضائها ومؤسسيها.

وكان من أبرز أعمال هذه الجمعية الرائدة إنشاء أول مدرسة نظامية بالجزائر إذ كان الحاج عمر العنق من مؤسسيها وأمين مالها، وقد نجحت هذه المدرسة نجاحا باهرا كما هو معروف،⁽¹⁾ وظلت في تاريخ الجزائر مثالا للاحتذاء والافتداء.

وكان من رفقاء الأوائل في هذه المرحلة صديقه أبو اليقظان الذي تعرف عليه في معهد الشيخ الحاج عمر ويرو ثم معهد القطب أطفيش، وظلت الصداقة بينهما متينة (كما سنوضح ذلك في مكانه)

وبعد إغلاق مدرسة تبسة وتشريد طلبتها وأساتذتها بيد الاستعمار الكولوني الفرنسي فكر أبو اليقظان والعنق في إنشاء البعثة الميزابية إلى تونس فراسل صديقه العنق ليلتحق به إلى تونس كما يقول أبو اليقظان:

".. وقد كان عضدي الأيمن في تكوين البعثة الأولى بتونس في سنة 1913-1914م، وهذا سنة 1913م ذهبت لتونس لمداواة بصري، وقد كانت لي رغبة كامنة في طلب العلم بتونس، فكاتبته إلى تبسة هل يمكنه اللحق بي فنترافق معا هناك أم لا؟ فأجابني بما ينشطني فالتحق بي⁽²⁾ فاكترينا أول بيت لنا في وكالة جمال بالعطارين، ثم إنه التحق بنا أبنائنا بعد إغلاق مدرسة تبسة المؤسسة — وكان من بين مؤسسيها في سنة 1913م — فتحنا دارا كبيرة بنهج "نزبة الباي" وهي المعروفة بدار ابن خلدون⁽³⁾

(1) أنظر في آخر البحث وثيقة تثبت ذلك.

(2) انظر رسالة العنق في آخر البحث

(3) من كلمة الشيخ أبي اليقظان في جنازة الحاج عمر العنق بخط يده في حوزتنا

وهكذا نلاحظ أن الحاج عمر العنق ظل قلبه متعلقا بالميدان العلمي رغم انصرافه إلى الميدان التجاري، وكأنه كان يشعر في سويداء قلبه أنه لم يخلق إلا للميدان العلمي والإصلاح.

وهكذا حل بتونس يرفقه زميله وصديقه أبو اليقظان فكانا منخرطين في جامع الزيتونة وفي المدرسة الخلدونية، ولترك أبا اليقظان يوثق لهذه المرحلة حيث يقول:

".. ثم قدم لتونس لمزاولة دروسه في جامع الزيتونة معي وفي مدرسة الخلدونية في نفس السنة

وعند وفاة قطب الأئمة الشيخ أطفيش -رحمه الله- في عام 1914 رافق المجاهد الأكبر الشيخ سليمان الباروني إلى ميزاب لتعزية آل الشيخ أطفيش وبعد رجوعه لتونس من ميزاب لم تستقر له قدم فيها لإتمام دروسه ولكن رجع إلى تبسة لمباشرة تجارته مع أخيه ثم تحوّل بها إلى تقرت في حوالي 1915، وهكذا نجده يغادر الميدان العلمي إلى الميدان التجاري الذي لم يكتب له فيه النجاح كما سنبين ذلك في مكانه

وعلى الرغم من أن الحياة الاقتصادية فرضت عليه الاهتمام بالميدان التجاري، والالتحاق به فإنه كان ملتصقا بمجالس العلم والعلماء للاستزادة من المعرفة متفتحا على الإسلامي والعربي من حوله، وكان شغوفا بقراءة الكتب والمجلات، والجرائد وكان حريصا على اقتنائها مما كان يرأسله به أصدقاؤه من تونس والمشرق وكان هذا الميل عنده من الوسائل التي تضيء على مجالسه أنسا وظرفا فيعجب المجالسون إليه من أصدقاؤه وضيوفه بتفتحه وسعة آفاقه وإطلاعه على مجريات الأحداث السياسية العالمية من حوله

وقد اصطفى مجالسه كثير من الأدباء والمثقفين والزعماء "يطول المجلس معه ساعات فلا يُمل لشخصيته الأنيسة الجلييلة السحّارة، ولحديثه العذب المفيد، ولصفائه وأريحيته.." كما يشهد بذلك الشيخ محمد علي دبوز⁽¹⁾

(1) محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، الجزء الثاني، ص: 279.

علاقته بسليمان الباروني باشا:

كان الحاج عمر العنق معجبا شديداً بالإعجاب بشخصية أمير السيف والقلم سليمان الباروني باشا يتابع جهاده ضد الغزاة الإيطاليين وهو طالب في معهد الشيخ الحاج عمر بن يحيى، فقد كان الإصلاحيون يتابعون جهاده من خلال الصحف التي كانت تأتيهم من المشرق وتونس

ولعل علاقة الباروني بالعنق توطدت أكثر عندما ترافقا في سفرهما إلى ميزاب بمناسبة تعزية آل أطفيش في وفاة شيخ وادي ميزاب أحمد بن يوسف أطفيش سنة 1914 فإن السفر كما هو معروف يوطد هذه العلاقات ويجعلها أكثر متانة واختباراً، وهكذا أصبح الحاج عمر العنق من أصدقاء الباروني الخالص يؤثره بأخباره ورسائله وأسراره ويعدده على رأس "إخوان الصفا" يثبهم أخباره وآراءه ولا سيما بعد سفر الباروني إلى عمان ومغادرته النهائية لوطنه وذلك سنة 1924

وشاء الله أن يكون هذا السفر -الذي حذر منه أبو اليقظان- سبباً لانقطاع الطالب الحاج عمر العنق عن الميدان العلمي إلى الميدان التجاري متنقلاً ما بين تبسة وتقرت، وبسكرة، وقسنطينة، والجزائر والحرش وإلى هذا يشير أبو اليقظان حيث يقول: "...وقد تفتحت آفاق الحياة أمامه واتسعت آماله بما لم يدعه أن ينكمش مع حياة الشظف أيام مزاولة العلوم.. ثم بعد ذلك انخرط في ميدان واسع من الإصلاح والكفاح فسافر إلى باريس مؤمّداً مع بعض إخوانه لأجل قضيته العسكرية والتجنيد الإجباري في ميزاب⁽¹⁾.

وأحسب أن من المواقف الإنسانية والوطنية التي سجلها له التاريخ في هذا الصدد موقفه المشرف من جهاد الباروني باشا فقد كان العنق من أعوانه وأصدقائه المخلصين قولاً وفعلاً، ولا أظن أن مؤرخاً أو كاتباً يستطيع التعمق في هذا الجانب دون الرجوع إلى هذا الكم الهائل من المراسلات⁽²⁾ التي كانت بين الباروني والعنق وهي تؤرخ تاريخاً دقيقاً للحياة الشاقة التي كان الباروني يكابدها من الاستعمار

(1) كلمة الشيخ أبي اليقظان في جنازة العنق (مجزئة).

(2) لديّ في مكتبي الخاصة أكثر من 500 رسالة توثق لما قلناه. (م.ن)

الغربي ومن حياته التي قضاها في عمان والعراق بين الإبلال والمرض طيلة ست عشرة سنة (1924-1940)

ويكفي هنا أن نذكر موقف العنق عندما استجاب لنداء صديقه الباروني وهو في أسر الحلفاء سنة 1924 بمدينة مرسيليا وليس في جيبه غير خمسين فرنكا وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت، يقول أبو اليقظان متحدثا عن هذا الموقف البطولي الوطني

".. حينما كان الباروني في أسر الحلفاء بمرسيليا وقد ضاقت به الأرض بما رحبت ذهب لزيارته وللترفيه عنه فزاره هو ورفيقه السري السيد ترشين سليمان بن الحاج عمر سنة 1924 فأسعفوه بما أمكن.." (1)

وبالعودة إلى تلك الرسائل نلاحظ أن حبل الود لم ينقطع بينهما أبدا بل ظل موصولا إلا ما كان يعتري المراسلات من انقطاع من حين إلى آخر لسبب أو لآخر ومنها ظروف الحرب العالميتين الأولى والثانية

والذي يعنينا من هذه المراسلات ما فيها من تفاصيل حياة الباروني باشا وما كان يلاقيه من ملاحقة الاستعمار الغربي وتضييق الخناق عليه بعدم زيارة أهله وذويه في تونس أو الجزائر، كما نجد فيها يوميات الحياة القاسية التي كان يحياها في مصارعة حمى (الملاريا) هو وأفراد عائلته أثناء وجوده في عمان والعراق وكيف كان يواجه شظف العيش رغم ما وجده من عناية إخوانه العمانيين ولا سيما الإمام محمد بن عبد الله الخليلي، وسلطان عمان تيمور باشا وأهم من هذا وذاك ما نجده فيها من نظريات سياسية حول العالم العربي والإسلامي في هذه المرحلة، ولأهمية هذه الرسائل اعتمدها الشيخ أبو اليقظان في كتابه عن الباروني باشا الصادر سنة 1956

علاقة العنق بأبي اليقظان

(1) كلمة الشيخ أبي اليقظان في جنازته والأصل موجود بحوزتنا.

كان الشيخ أبو اليقظان من أعز أصدقاء العنق، وكانت علاقة الصداقة والأخوة بينهما حميمة تعود إلى أيام التلمذة في معهد الشيخ الحاج عمر بن يحيى ويرو

وقد كان أبو اليقظان تلميذا في حلقة الشيخ الحاج عمر العنق الذي يكبره بسنوات وكان التقليد المتبع في معهد الحاج عمر بن يحيى ويرو أن يعين لكل حلقة طالبا من الكبار له باع ونصيب من العلم ولا سيما علوم اللغة العربية والشريعة الإسلامية إذ يختار الشيخ الحاج عمر للمليكي هؤلاء بنفسه ممن يثق في علمه وأخلاقه وانضباطه وحزمه، فكان العنق شيخا لحلقة أبي اليقظان فهو معلم له من هذه الزاوية وقد اشتدت تلك العلاقة مع الأيام رسوخا عند تلقيهما العلم في معهد الشيخ أطفيش ببني يزقن، وما لبث العنق أن غادر معهد أطفيش إلى تجارة أخيه بتبسة وشاء القدر أن يربط بين أبي اليقظان والعنق مرة أخرى حينما أسسا معا بدايات البعثة الميزابية بتونس وأشرفا عليها واشترى دارا لها، كما سبقت الإشارة إلى ذلك

وأحسب أن هذه العلاقة توطدت مع الأيام بالمصاهرة الأسرية حيث كانت ابنة العنق (زليخة) زوجة لابن أبي اليقظان عيسى بن إبراهيم إلى أن توفيت بالنفاس⁽¹⁾ تاركة له ابنا صالحا هو يحيى بن عيسى وبنيتين صالحتين هما مسعودة وعيشة عمر، ومن خلال المراسلات التي كانت بين أبي اليقظان والعنق نلاحظ الصداقة المتينة التي تربطهما، ولا سيما في مجال العمل الإصلاحي الوطني، فقد كان العنق معجبا شديدا بالإعجاب بجهاد صديقه الصحفي ولا سيما بعد ظهور جريدته الأولى وادي ميزاب سنة 1926 وما تركته من أثر طيب في النهضة الإصلاحية في الجزائر قاطبة ولم يكن إعجاب العنق يقف عند حدود الكلمة الطيبة،⁽²⁾ بل نجده يقف موقفا بطوليا عمليا بعد مصادرة السلطات الاستعمارية جريدة وادي ميزاب سنة 1929

ونقرأ في مراسلة له أسفه الشديد لهذا المصير، مشجعا صديقه على المضي دون الاستسلام لخصوم الإصلاح، ويؤدي العنق استعداداه لأي موقف يشير به أبو اليقظان مثل ارسال الاحتجاجات

(1) كان هذا في ديسمبر من سنة 1941م.

(2) ننظر رسالة من تقرت بتاريخ: 27 جمادي الثانية 1346هـ / 22 ديسمبر 1927م.

تنديدا بهذا الموقف المعادي لحرية التعبير، ويقول إنه مستعد لأن يقوم بجمع احتجاجات الميزابيين في كل من بسكرة وتقرت، حيث كانت تجارته آنذاك⁽¹⁾

ونجد أبا اليقظان نفسه معترفا بفضل أخيه العنق عليه منذ أيام التلمذة في معهد الشيخ الحاج عمر لمليكي، فقد كان الفضل يعود للعنق الذي أطلع أبا اليقظان على المؤلفات الحديثة والكتاب المعاصرين حيث يقول مُنوّها:

.. وهو من دعائم الإصلاح والكفاح في القرارة، وهو الذي ألف بخط يده رسالة في كشف أعمال جبابرة القرارة، وأنا مدين له لفتح نافذة أمام بصري نحو الكتب العصرية الجديدة، بعد أن كانت مطالعتنا وشغفنا وولوعنا بالأسلوب القديم، بفضله عرفت رسالة "أم القرى للكواكبي، والتاج المرصع لطنطاوي جوهري وذكرى الغافل وتنبيه العاقل للأمير عبد القادر الجزائري"⁽²⁾ ويعده أيضا ممن تعلم الخط الجميل عنهم وذلك منذ تلاقيهما في محاضرة الشيخ علي بن حمو بالقرارة قبل انتقالهما إلى معهد الشيخ الحاج عمر بن يحيى ويرو

علاقته بالشيخ محمد علي دبوز:

نقرأ في كتاب الشيخ محمد علي دبوز نهضة الجزائر الجزء الثاني. الاعجاب الكبير الذي كان يوليه الشيخ دبوز بشخصية العنق وجهاده الاصلاحى وحبّه الشديد لمعهد الحياة وأساتذته وطلابه، وقد عاشر الشيخ محمد علي دبوز الشيخ الحاج عمر العنق بعد استقراره في القرارة في أواخر الأربعينيات حيث يقول: "وكان شديد الحب لمعهد الحياة وأسرته وتلاميذه، يعتد بهم ويعلق فيهم آماله العظيمة، وهو أكبر من حثني على تأليف تاريخ المغرب الكبير. كنت أكتب خلاصات المحاضرات التي ألقيتها في المعهد في تاريخ المغرب الكبير لينسخها الطلبة، فشكوت للشيخ الحاج عمر كثرة الأخطاء فيما ينسخون، وتقاعس البعض عن النسخ فقال لي: "أنا أنسخ لك ما تحتاجه من النسخ للطلبة"

(1) تنظر رسالة من تقرت تاريخها: 17 فيفري 1929 بخط يد العنق الحاج عمر.

(2) من كلمة أبي اليقظان في جنازة العنق (الأصل موجود بحوزتنا)

فخجلت أن يتولى هذا وهو أستاذي وفي سن أبي، وفي مقام عظيم، فعرف خجلي وترددي فقال في اصرار "يا أستاذ إن هذا العمل عبادة كبرى وهو يفيدني ويؤنسني"

فتولى نسخ تاريخ المغرب للمعهد، وكان بعد كل محاضرة ينسخها بيدي عن إعجابه بالأسلوب والروح والحقائق الجديدة التاريخية التي أكشف عنها، ويقول لي " نريد أن تكتب لنا تاريخ المغرب الكبير بهذا الأسلوب وبهذه الروح، وكرر لي مرارا فكان ممن شجعني على التأليف في تاريخ المغرب الصعب المظلوم⁽¹⁾ (رحمه الله)

والواقع أننا كنا نتمنى أن يكتب عن الشيخ الحاج عمر العنق تفاصيل أوفى عن حياته ولا يكتفي بالقليل للذي كتبه عنه، على الأقل كنا ننتظر أن يعنى بالحاج عمر العنق عنايته بأخيه الحاج بكير أسد القرارة على الأقل.

وأحسب أن الشيخ دبوز وقع هو الآخر فيما وقع فيه أغلب الناس من عدم تقدير لجهود الرجل وتضحياته كما يجب وهذا ربما تحت تأثير ما عرف عنه من إفلاس في تجارته الذي اشتهر عنه في أخريات حياته بعد استقراره في القرارة في أواخر الأربعينيات وتقديم استقالته من حلقة العزابة تحت هذا التأثير.

ولعل الشيخ محمد علي دبوز كان يرجى الكتابة عند إلى أجزاء أخرى من النهضة أو أعلام الإصلاح لا ندري، ولكن ما جاء عن العنق في كتابه شيء قليل، وهو خير من لا شيء على كل حال.

وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل مرة أخرى

لم لم ينجح العنق الحاج بكير في الميدان التجاري؟ ولم آلت به تجارته رغم السنين الطويلة في كل من تقرت، ووارجلان، وبسكرة، وقسنطينة، والجزائر والحراش أي الإفلاس ومحاصصة الناس الدائنين له.

(1) محمد علي دبوز، نخضة الجزائر الحديثة، ج2، ص: 278.

نستطيع القول بأن مجريات حياة الحاج عمر العنق كانت تدفع به إلى الاستزادة من ميدان العلم بدءاً من معهد الحاج عمر بن يحيى المليكى في أوائل العشرينيات وكان من ألمع تلامذته، كما كان من أبرز طلبة القطب أطفيش وأنجبهم، ولكن ظروف الحياة الاقتصادية الصعبة التي كان يمر بها ألزمتها على الالتحاق بتجارته مع أخيه بمدينة تبسة سنة 1913 كما سبق أن ذكرت.

ورغم انتمائه إلى الميدان الاصلاحى التعليمى بمدينة تبسة إلا أن الجو التجارى كان غالباً عليه، ورغم محاولة صديقه أبى اليقظان رده إلى الميدان العلمى سنة 1914 عندما انخرط فى الزيتونة والخلدونية إلا أنه عاد مرة أخرى إلى تجارته بمفرده هذه المرة وكان ذلك حوالى سنة 1915 بمدينة تقرت حيث كانت له تجارة رائجة ناجحة فى أول الأمر، ولكن الظروف الاقتصادية العالمية المعروفة أثناء الحرب الأولى وأثناءها وبعدها جعلت تجارته تنتكس مرة أخرى، ولا تكاد تصل سنة 1932 حتى يعلن تركه هذا الميدان مما جعل أخاه الحاج بكير يطلب من مؤسسة المطبعة العربية إلحاقه بها⁽¹⁾

ونلاحظ فى مسيرة حياة الحاج عمر العنق خلطاً واضحاً بين التدريس فى المدارس القرآنية والاشتغال بالتجارة، فقد كان فى فترة من حياته مدرساً فى مدرسة قرآنية بمدينة وارجلان وبعد فترة عاد إلى التجارة، ثم عاد إلى التدريس بمدرسة الهدى بمدينة قسنطينة حوالى 1937، ثم نراه يعود إلى التجارة فى مدينة الجزائر والحراش وأخيراً استقر فى مدينة القراة بعد إعلان إفلاسه إلى حين وفاته مريضاً فى مدينة الجزائر أو الحراش سنة 1956 ونقل جثمانه ليدفن بالقراة مسقط رأسه (رحمه الله)

والذى ينبغى لنا الوقوف عنده ونحن نتابع هذه الحياة المتطورة المتقلبة من جانبها المادى نهايتها المساوية حين أعلن إفلاسه وتخليه النهائى عن الميدان التجارى بمحاصصة زبائنه والمدينين له، مما جعل الناس يتنكرون له ويجهلون مواقفه الاصلاحية والجهادية العظيمة، وقد ذكر الشيخ بيوض هذه النهاية المؤسفة، وموقف الناس من هذا المصلح المغمور حيث يقول من كلمة مؤثرة ألقاها فى جنازته

(1) لا نجد فى المصادر ما يؤكد هذا الالتحاق من عدمه. رسالة من خط الحاج بكير العنق يعود تاريخها إلى سنة 1932

".. لقد ابتلي فيما ابتلي به الناس من الأزمة المالية الخانقة، فذهب جل ماله ما بين الديون المتلاشية بين حرفائه وما بين إسرافه في الكرم والجود، وما بين مصاريفه في القضايا العامة

وهل يوجد أحد ما من عدو أو صديق يشهد عليه بأنه بذل فرنكا واحدا في فسق أو خمر أو قمار؟ كلا لا يوجد أحد ما يشهد عليه بذلك أبدا، نعم ولئن حاصص غرماءه عند عجزه فيما بقي من ماله، فعندي أن هذه نكبة لحقته لا لاختلاس أو احتيال أو سرقة- كما يفعل بعض الناس- ولكنها مصيبة هي من أسرار الله في خلقه، وهو المتصرف فيهم بما يشاء ولا دخل لنا في هذا وهو سبحانه يقدر وييسط"(1)

سخاؤه الحاتمي، هل جنى عليه؟

اشتهر الحاج عمر العنق وعرف بكرمه وسخائه الشديدين الأريحيين، حتى كان محل انتقاد أصدقائه قبل أعدائه كما يصفه صديقه الحميم أبو اليقظان حيث يقول عنه "وكان كريما جدا إلى حد التبذير في ماله، ولأجل هذا انتكست تجارته، وكانت واسعة، وهو مضياف ولعل هذا الكرم الواسع الذي أشار إليه معاشروه هو السبب في اخفاقاته المتكررة في تجارته رغم اجتهاده وتنقلاته ما بين مدن جزائرية متعددة بدءا من تبسة سنة 1913 مرورًا بوارجلان وبسكرة وقسنطينة ونهاية بالجزائر والحراش في نهاية الأربعينات.

وهذا ما جعله يعاني من حياة الفقر والعوز ولا سيما في أواخر حياته حيث انتهى به التطواف والسعي في مسقط رأسه القرارة وقد أنكره الناس الذين يقيسون الحياة بالمقاييس المادية، ولم يقدره قدره الحقيقي وتضحياته من أجل الصالح العام، ولم يتذكروا الأسباب الحقيقية لهذا الإفلاس كما يقول الشيخ بيوض.

والعجيب في الأمر وهذا مما يجعله يعظم في أعيننا -أننا لا نلاحظ في مراسلاته أو مواقفه ما يشير إلى السخط من الناس وعدم الرضى من معاملتهم الجاحدة، بل لم يتخل عن شيم الكرم التي

(1) من كلمة الشيخ بيوض في جنازة العنق

فطر عليها طوال حياته، بشهادة كل من عاشه عن كثر. وهذه خصيصة المؤمن الذي من شأنه الرضى كل الرضى بما قضى الله وقدر.

رحم الله شيخنا الحاج عمر العنق وأثابه بالجزاء الأوفى في جنات النعيم، فقد قدم من الأعمال الصالحات في ميدان الإصلاح الاجتماعي الوطني ما يشهد له إن شاء الله بحسن الخاتمة، نسأل الله أن يلحقنا بهذا الرعيل من الصالحين غير مبدلين ولا مغيرين، آمين والحمد لله رب العالمين.

الأبيار في 2018/08/07

الدكتور محمد صالح ناصر

محطات في حياة الحاج عمر العنق

- من مواليد القرارة حوالي 1881م.
- بدأ حفظ القرآن في مدينة قسنطينة قبل أن يستظهر كاملا بالقرارة ويلتحق بجماعة (إيروان)
- التحق بمعهد الشيخ الحاج عمر بن يحيى المليكي وكان من ألمع تلامذته اجتهدا وسلوكا
- أرسله شيخه مع ثلة من رفاقه إلى معهد الشيخ أطفيش حيث درس بضع سنوات وكان هذا حوالي 1907
- حوالي 1913 ترك حلق العلم والتحق بتجارة أخيه الحاج بكير بمدينة تبسة
- شارك في نهضة تبسة العلمية مشاركة فعالة فكان عضوا في الجمعية الصديقية لإحياء العربية، وأسس مدرستها مع زملائه المصلحين، وكان أمين ما ليتها
- في سنة 1914 التحق بصديقه أبي اليقظان لإنشاء دار البعثة الميزابية والإشراف على طلبتها وهي التي عرفت من بعد دار ابن خلدون
- درس في هذه الفترة بجامع الزيتونة والمدرسة الخلدونية رفقة زميله وصديقه أبي اليقظان.
- رافق الشيخ سليمان الباروني باشا لتعزية آل طفيش في بني يزقن بعد وفاة الشيخ في 1914
- لم يعد إلى تونس بل شغل بالتجارة في تبسة ثم تفرغت حوالي 1915 وانقطع إليها سنين طويلة
- في 1351هـ حوالي 1933م انتقل للتدريس في مدينة وارجلان بدعوة من مصلحيها ويبدو أن جو وارجلان أصابه بحمى (المالاريا) مما جعله يغادرها بعد حوالي سنين.
- في ديسمبر 1935 يترك وارجلان ليلتحق بمعهد بسكرة للتدريس بها بدعوة من مصلحيها
- لم يستمر طويلا ببسكرة إذ سرعان ما انتقل إلى قسنطينة للإشراف وإدارة مدرسة الهدى بها حوالي 1937

- نجده في أواخر الأربعينيات يستقر بمسقط رأسه القرارة بعد تخليه عن التجارة وإفلاسه فيها وهكذا كان دائم التنقل بين الميدانين العلمي والتجاري
- له صداقة متينة بمصلحي العالم العربي والإصلاحي، ومنهم صديقه الحميم المجاهد سليمان الباروني باشا، وأبو اليقظان، والشيخ بيوض، ومحمد علي دبوز، وغيرهم
- كان مراسلا وفيما للزعماء والمصلحين، كريما سخيا جوادا مضيافا
- استقال من حلقة العزابة بعد انتكاس تجارته وإعلان إفلاسه بتوجيه من أخيه الحاج بكير أسد القرارة.
- بعد مرض واعتلال صحته توفي بالجزائر العاصمة ونقل جثمانه في جنازة مهيبة لدفنه بالقرارة أبنة الشيخان بيوض وأبو اليقظان وحضرها جمهور حاشد وذلك في 18 جانفي 1956 (رحمه الله رحمة واسعة)

أهم المصادر والمراجع

1. الحاج عمر العنق: مجموعة رسائل إلى الشيخ أبي اليقظان (بخط يده)
2. الحاج عمر العنق: مجموعة رسائل من الباروني باشا - مكتبة محمد ناصر -
3. كلمة الشيخ بيوض في جنازة العنق (بخط يد أبي اليقظان) - مكتبة محمد ناصر -
4. كلمة أبي اليقظان في جنازة العنق (بخط يد أبي اليقظان) - مكتبة محمد ناصر -
5. الشيخ أبو اليقظان - ملحق السير، الجزء الثاني، نسخ المرحوم فرصوس - مكتبة محمد ناصر -
6. محمد علي دبوز - نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، الجزء الثاني، عالم المعرفة، الجزائر

فهرس رسائل الحاج عمر العنق إلى أبي اليقظان

1941-1913

مصدرها	تاريخها	أهم ما جاء فيها..	ملاحظات
تبسة	15 محرم 1332 05 ديسمبر 1913	يرد على دعوته للالتحاق به إلى تونس للعمل على فتح دار البعثة الميزابية ويعبر عن فرحته بهذا الاقتراح، ولكنه يعتذر بغياب أخيه بكير عن تبسة. ويعد بالإسراع إليه في تونس بعد رجوع أخيه "لو أجد الانتقال في الليل قبل النهار لفعلت، وبالجملة جسدي هنا وروحي هناك، شيء غرسه الله في قلبي ومنذ زمن بعيد.."	
تقرت	27 جمادى 2 1346 22 ديسمبر 1927	ييدي إعجابه الشديد بجهد أبي اليقظان الصحفي، وموضوعات جريدة وادي ميزاب ويبين وجهة نظره السياسية والاجتماعية، ويشد من أزر أبي اليقظان، ويدعوه إلى الاعتدال مع خصوم الإصلاح.	
تقرت	19 شوال 1348 30 مارس 1928	يخبره عن حالة الباروني باشا في عمان ومرضه بالمalaria وبعض أخبار النهضة في عمان الإمامية، ويرجو الباروني أن تسمح له فرنسا بزيارة الجزائر وزيارة أهله. ويؤكد ما جاء في رسالة أخرى للباروني للعنق عن متابعة الاستعمار الغربي له.	
تقرت	(دون ذكر التاريخ المحري) 5 ديسمبر 1928	رده لأبي اليقظان الذي يخطب بنت الحاج عمر العنق "زوليخاء" لابنه عيسى بن الحاج إبراهيم، ويقول	

	فيها بأن البنت لما تصل سن البلوغ، وأنه لن يفضل عليه أحدًا، مهما كانت الظروف وهذا رأي أخيه الحاج بكير والله يدبر عواقب الأمور.		
تقرت	يعبر عن دهشته وحيرته لمصادرة جريدة وادي ميزاب وما تركه هذا الخبر من الآم نفسية، ودعوة أبي اليقظان إلى عدم اليأس ومواصلة الكفاح والجهاد الصحفي، ويوضح له مؤازرته العملية بالاحتجاج ضد السلطات الفرنسية وحث الميزابيين على اتخاذ مثل هذا الموقف، الخ...	30 شعبان 10 فيفري 1929	
تقرت	إعجاب كبير بجريدة (ميزاب) التي خلفت وادي ميزاب وإعجاب بافتتاحيتها وتنديد بالمنائين لجرائد أبي اليقظان من خصوم حزب الإصلاح وغيرهم.. مما جاء فيها "الأخ العزيز الصديق الروحي الأستاذ أبي اليقظان، صانه الله سلام على تلك العبقرية الذكية، والطوية الطاهرة النقية ورحمة الله" وفيها إشارة عن أخبار الباروني في عمان الإمامية.	4 رمضان 1348 4 جانفي 1930	
وراجلان	إلى صهره رد على تهنة بالعيد	12 شوال 1351	
قسنطينة	الرسالة إلى عيسى أبي اليقظان (رد على تعزية)	6 صفر الخير 1354	

تيارت	24 ربيع الثاني 1358 13 جوان 1931	إلى صهره عيسى يصف له رحلته إلى الناحية الغربية، وهران وضواحيها.
القرارة	3 ديسمبر 1931	(وثيقة مهمة) تصف بالتفصيل الدقيق ما جرى في القرارة حين تنصيب عفاري قائدا على القرارة وتلك الحفلات الصاخبة التي اهتم بها الاستعمار الفرنسي ومن والاه من أعيان وادي ميزاب
وارجلان	25 رمضان 1354 17 ديسمبر 1935	يخبره بانقطاع علاقته بوارجلان والتحاقه قريب بمعهد بسكرة وصف لحادث انقلاب سيارة (أرما) في الوادي بين تقرت وبسكرة ومعه السيد تعموت ولكن الله سلم. وصف للحادثة بالتفصيل ويرجو من أبي اليقظان أن يكتب عنه في الأمة مقارنة ظريفة بين سيارات بوكامل وأرما وتفضيل تلك على هذه.
القرارة	2 شوال 1356 ديسمبر 1937	ترسيم الألقاب للعشائر، جو العيد والصلاة والمتخلفون حوالي 30 نفرا وانتخاب مشايخ العشائر.
القرارة	25 ذو القعدة 1360	يرد على تعزية في موت أخيه يحيى، كما يهنؤه بالمولود الجديد (يحيى) في التاريخ المذكور أعلاه "جعله

	الله من صالح الذرية وحبة لأولوية في عقد المصلحين الحاملين للواء العلم والدين وقرة عين والديه وآل اليقظان والعنق"	1941	13فيفري